تفاعل الهوّيّة والتّاريخ في النّصوص الرّوائية
The interaction of identity and history in narrative texts

د. عبد الباسط طلحة
جامعة عبد الحفيظ بوالصوف – ميلة- الجزائر
معهد الآداب واللغات
Bassettalha2015@gmail.com

تاريخ الإرسال	تاريخ القبول	تاريخ النشر
2020/03/21	2020/07/19	2020/08/10

Summary
Narrative discourse is an important area of interaction to represent identity and history by raising some outstanding issues and trying to answer the questions of the present, and examines the reasons for the distinctiveness of identity and its dependence on the element of history, and the role of the detailed history stations in transforming them from their convictions, and revealing the forms of conflict. This study is an attempt to reveal the beauty of this interaction, which produces a prestigious literary form that creates the authenticity of the identity, and raises the major challenges facing the identity, and reveals the role of History in moving most of the questions and crises that it has experienced.
Words:
Narrative, identity, history, narrative and cultural representation, ego and other.

الملخص
يُشكّل الخطاب الروائي منطقة تفاعل مهمة لتمثيل الهوية والتّاريخ من خلال إثارة بعض القضايا العالقة ومحاولة الإجابة على أسئلة الراهن، ويبحث أسباب تميز الهوية وارتهانها بالعنصر التّاريخي، ودور المحطات التّاريخية المفصليّة في تحويلها عن قناعاتها، وكشف أشكال الصّراع التي تمرُّ بها الذّات أثناء لقاءها مع الماضي، ونظرتها للمستقبل في ظل سطوة التاريخ، تأتي هذه الدّراسة مُحاولة إماطة اللّثام عن جمالية هذا التّفاعل الذي يُنتج للقارئ شكلا أدبيا مرموقا يُخاطِبُ أصالة الهوّيّة، ويبعث التحديات الكبرى التي تواجه الهوّيّة، ويكشف عن دور التاريخ في تحريك جل الأسئلة والأزمات التي مرت بها.
الكلمات الدّالة:
الرّواية؛ الهويّة؛ التّاريخ؛ التمثيل السردي والثقافي؛ الأنا والآخر.

مقدمة:

يتميز البحث في مفهوم الهوية بطابع العمق، وهذا راجع إلى تعدد المفاهيم والمصطلحات، فالهوية تتخذ شكلا زئبقيا يصعب الإمساك به، أو الإلمام بجوهره، كما أنّ الحديث عن ظهور الهوية في الرواية يقود إلى مجموعة من الآليات التي تتجسد بها الهوية داخل الابداع الروائي، فالرواية تقوم على فعل السرد، الذي يؤدي بدوره وظيفة في غاية الأهمية بالنسبة لربط حاضر الإنسان بماضيه من خلال نقله لأدق تفاصيل حياته داخل معتركها الدائم نحو الأفضل، وهذا ما تحاول هذه الورقة البحثية الخوض فيه ومحاولة الإلمام ببعض جزئياته.

1. علاقة الهوية بالتاريخ

1. 2. ماهية الهوية

ورد في معجم مفاتيح اصطلاحية جديدة أنّ الهوية هي "علاقة التطابق مع الذات عند شخص ما أو جماعة اجتماعية ما في جميع الأزمنة وجميع الأحوال، فهي تتعلق بكون شخص ما أو كون جماعة ما قادرا أو قادرة على الاستمرار في أن تكون ذاتها وليس شخصا أو شيئا آخر، وقد يمكن اعتبار الهوية خيالا يراد منه أن يضفي نموذجا أو سردا منتظما على التعقيد الفعلي والطبيعة الفياضة لكل من العالمين النفسي والاجتماعي ويرتكز سؤال الهوية على تأكيد مبادئ الوحدة، في مقابل التعدد والكثرة، والاستمرار في مقابل التغير والتحول "[1]؛ أي هي جوهر ناتج عن تعالق المعطيات النفسية مع العلاقات الاجتماعية، تشكل مسارا للفرد، وتعينه على فهم ما يحيط به، وتساعده على إدراك سرّ وجوده، ويمكن وصفها بجميع المكونات التي يختص بها شخص ما أو جماعة محددة يُعْرَف بها دون غيره أو دون غيرها من المجتمعات.

وتتحدد الهوية في معناها الفردي عن طريق "إحساس فرد أو جماعة بالذات، إنّها نتيجة وعي الذات بأنني أو نحن نمتلك خصائص مميزة ككينونة تميّزني عنك وتميّزنا عنهم فالطفل الجديد قد يمتلك عناصر هوية ما عند ولادته بعلاقة مع اسمه وجنسه وأبوته وأمومته ومواطنيته، وهذه الأشياء في كل حال لا تصبح جزءا من هويته حتى يعطيها ويعيها الطفل ويعرّف نفسه بها "[2]، إنّها مرادفة للانتماء بشرط أن أعطيها بُعدًا أُعْرَف به أو أُحَدّد نفسي وأعرّفها من خلاله، فتصبح عبارة عن الخصائص التي تميّزني عن غيري.

تتغير هذه المفاهيم حسب الحقول المستعملة لهذا المصطلح، فالهوية من منظور الفلاسفة "حقيقة تعبر عن الشيء المطلق المشتمل على صفاته الجوهرية التي تميّزه عن غيره، كما تعبّر عن خاصية المطابقة أي مطابقة الشيء نفسه أو لمثيله، فهوية أي شعب هي القدر الثابت والجوهري والمشترك، فتميزه عن غيره من الحضارات "[3]، إنّها ما يميز شيئا محددا عن غيره، ويجعله مختلفا عن الآخرين، فهوية أي قومية أو شعب من الشعوب هو الجوهر الذي يجعله يختلف كل الاختلاف عن بقية الشعوب التي تحيط به، ولو اشترك معها في نفس الرقعة الجغرافية، فمثلا الهوية الإسرائيلية تختلف –وفق هذا المنظور– عن الهوية العربية، رغم علاقات التجاور والاشتراك في الأرض والأصل، فالهوية وفق الفلسفة تعتبر من المسلمات الثابتة التي لا تقبل التغيير.

أمّا إذا اتجهنا صوب الدراسات النفسية، فإننا نجدها مقتصرة على شرط وحدة الأنا أي "الذات وأساسها، وتعني وحدة الأنا Ego Identité ذلك الإحساس الأنوي بأنّي أنا هو أنا بكافة الأحوال والأزمنة وهي في الآن نفسه ما تميّز الأنا عن غيرها من الأنوات "[4]، فإحساس الأنا بالاختلاف والمغايرة عن غيرها من الأشخاص، لأنَّ كل فرد له ماهيته وجوهره الذي يحدده عن باقي أفراد مجتمعه أو عشيرته أو الأفراد المحيطين به، كما أنها إحساس وجداني نفسي يقوم على التفرد في السلوك والفكر.

غير أنّ هذا المفهوم يشير إلى أنّ لكل فرد له هوية خاصة به، وهذا ما تنفيه مفاهيم الهوية في حقل الدراسات الاجتماعية؛ إذ تصبح الهوية وجود "جماعة تستمد ملامح مقوماتها من ثقافة المجتمع، على اعتبار الثقافة هي المجموع المنسجم، أو المستمر للمعاني والرموز المكتسبة المشتركة التي تعمل الجماعة على توصيلها، وإعادة انتاجها وعنصر التماثل الذي تقدمه للجسم الاجتماعي "[5]، فالثقافة أو أنماط تفكير المجتمع والممارسات التي يقوم بإنتاجها هي ما يحدد الهوية في إطار انصهار وحدة الأنا مع الآخر، فالهوية بمثابة المرجع الذي يؤسس حياة ونظام تفكير الجماعة، وبالتالي لا توجد هوية فردية قائمة بذاتها.

وهوية المجتمع عبارة عن كل مركب مبني ومعترف به اجتماعيا وذلك من دلالات الذات الممتدة من عضوية الفرد كالطبقة والعرق واللغة وسائر مكوّنات المجتمع [6]، لأنّها تشكل ثوابت المجتمع، وهي من المكونات الضرورية للهوية، فالمجتمع يشكل إطارا عاما للذوات التي تقبل الانصهار فيه دون شروط.

غير أنّ هذه المفاهيم تختلف في ميدان البحوث السياسية، فهي في الخطاب السياسي تشترط "أن يكون الإنسان عضوا في جماعة وبالأخص جماعة تتعين بالنسب البيولوجي أو العرقي، وحتى تتحقق الهوية يجب أن تُوجِد لك فردية مخصوصة أو شخصية فريدة لها اسم ووجه وبطاقة "[7]، تشترط الهوية في هذا المضمار أن تتحقق الوحدة في الانتماء إلى جماعة عرقية تتوحد في اللغة والاتجاه الإيديولوجي، لكن يجب على الفرد أن تتحدد له مقومات تميّزه؛ هي في الغالب مقومات بيولوجية وفيزيائية تحدده دون غيره، أي تتحقق في قدرة الفرد على اكتساب ما يخصه، وملاءمة هذه المكتسبات للجماعة التي ينتمي إليها.

وتتحصر الهوية في الأدب بشكل مغاير للتعاريف السابقة فهي "مجموعة من السمات المميزة للكاتب، تتطبع بطابعه، وتحدد مسار عمله ومشخصات إنتاجه، والأدب يعرف بهويته الأدبية، والأدب يعرف بسمات الأدباء وهوّياتهم "[8]، أي هي أسلوب الكاتب عن طريق ما يطرح من أفكار ومواقف، وأسلوب الجنس الأدبي المعبر عنها، فالكتابة أو الأدب يغدو عبارة عن حمولة معرفية يعرف بها صاحبها، أو المدرسة والاتجاه الذي ينتمي إليها.

لكنّ هذا المصطلح لاقى رواجا كبيرا بعيدا عن الحقول السابقة الذكر، وهذا لكونه موضوعا حساسا في نشوء المجتمعات والدول والكيانات؛ فتغدو الهوية خير معبر عن الطموح المستقبلي للشعوب، وتلعب الثقافة في هذا الميدان دورا هاما في تحديدها، فالثقافة وعاء يشمل كل الممارسات التي ابتكرتها الإنسانية قاطبة، هذا الطرح يُجَسِّده محمد عابد الجابري في حديثه عن الهوية إذ يرى أنّ الهوية الثقافية "لا تكتمل ولا تبرز خصوصيتها، ولا تغدو هوية ممتلئة قادرة على نشدان العالمية إلا إذا تجَسَّدت مرجعيتها في كلّيات تتطابق فيها ثلاث عناصر: الوطن (التاريخ والجغرافيا)، الدولة (التجسيد القانوني لوحدة الوطن والأمة(والأمة(النسب الروحي الذي تنسجه الثقافة المشتركة) "[9]، إنها شعور الفرد بانتماء إلى بقعة جغرافية واحدة يشملها التاريخ المشترك، ويتعايش ضمنها مجموعة من الأفراد بواسطة قانون يكفل وحدتها ويحدد نظم سيرها، هذا الشعور بالانتماء تعمِّقه مجموعة من الروابط كالانتساب إلى عادات وتقاليد وديانة واحدة تكفل حق الفرد في الراحة، والاستمرار دون مشاكل أو منغصات.

تُركز المفاهيم السابقة على ارتباط الهوية بالشخص أو الفرد، وإن اختلفت في تحديد علاقته بمحيطه الاجتماعي، فالشخص هو الحجر الأساس في تبلور هذا المفهوم على اعتبار "هوية الشيء هي ثوابته التي لا تتجدد ولا تتغير، وتتجلى وتفصح عن ذاتها دون أن تخلي مكانتها لنقيضها طالما بقيت الذات على قيد الحياة فهي كالبصمة بالنسبة للإنسان يتميز بها عن غيره وتتجدد فاعليتها، ويتجلى وجهها كلما أزيلت فوقها طوارئ الطمس، إنها الشفرة التي يمكن للفرد عن طريقها أن يعرف نفسه في علاقته بالجماعة الاجتماعية التي ينتمي إليها، والتي عن طريقها يتعرّف عليه الآخرون باعتباره منتميا لتلك الجماعة "[10]، هي محصلة، ونتيجة نهائية لمجموعة من التجاذبات التي تعطي في نهاية الأمر شكلا نموذجيا تحدد خصائص الفرد، ومميزاته وطرق وأنظمة تعايشه مع الجماعة التي ينتمي إليها.

ولتتشكل الهوية لابد أن تتوفر لديها "المقدرة على البقاء فضلا عن مصداقيتها إلا بقدرتها على التطور والتفاعل مع المعطيات الاجتماعية، السياسية، الثقافية، والتاريخية وبوعيها لهذه الخصوصية المرنة والانفتاح والاستجابة النقدية "[11]، فالهوية لا تولد مع الفرد أو تكون معطى جاهزا يأخذه وينتسب إليه، إنما هي محصلة لتفاعل هذا الفرد، وقدرته على الانفتاح لتلقي مجموعة من الخبرات الجديدة.

كما لا يمكن فصلها كذلك عن تاريخ المجتمع وحركته، فهوية "الأمة هي هوية تاريخية والتاريخ هو الذي يُشكِّلها، وهذا يعني أن لا وجود لهوية خارج المجتمع والتاريخ، فالأمة وحدها تملك الهوية، سواء كانت جماعة (صغيرة أو كبيرة بشرط تماثل أفرادها وانصهارهم في الوجود المجتمعي الجماعي)، وأي فرد لا يستطيع أن يستقل عن الجماعة (الأمة) في هذا الإطار، أي أنه في حاجة إلى هوية تجمعه مع آخرين، لأنه ليس بإمكانه أن تكون له هويته وحده، كما أنه ليس بإمكان أية قوة أن تفرض هوية ما على مجموعة من الناس دون اختيار حرّ في طرفهم، والهوية بهذا المعنى مثل أرض الوطن بالنسبة إلى الشعب أو الأمة، أي هي ملك مشاع للجميع، ولكن لا يملك أحد الحق في التفريط بجزء منها ولا يصح التنازل عنها"[12]، فالتاريخ هو الذي يسجل جميع التطورات التي تمر بها الأمة، فيغدو جزءا لا يتجزأ من هويتها، وفكرة قائمة عن الفرد الذي يعزز انتماءَهُ للأمة بواسطة وحدة التاريخ، ووحدة المصير التي يشترك بها مع الآخرين.

ومن هذا المنطلق يمكن القول إجمالا أنّ الهوية هي نتاج لمجموعة من العلاقات المتفاعلة عند فرد، أو هي تفاعل لمجموعة من الأنشطة تُشكل الهوية الجماعية أو مجموعة من السمات التي تميز الفرد دون غيره، وعندما تنصهر تشكل منظورا جماعيا لتصبح عبارة عن مفهوم اجتماعي نفسي يشير إلى كيفية إدراك شعب ما لذاته، وكيفية تمايزه عن الآخرين وهي تستند إلى مسلمات ثقافية عامة، مرتبطة تاريخيا بقيمة اجتماعية وسياسية واقتصادية وعرقية [13].

ولا تتشكل وفق منظور فردي أو أحادي باعتبارها "ليست أحادية البنية، أي لا تتشكل من عنصر واحد سواء كان الدين أو اللغة أو العرق أو الثقافة أو الوجدان والأخلاق، أو الخبرة الذاتية أو العلمية وحدها، وإنما هي محصلة تفاعل هذه العناصر كلّها "[14]، فتفاعل هذه العناصر يتم في إطار منظومة فكرية تُوَلِّدُ هوية ما خاصة بفرد وجماعة، وتصطدم في بلورتها مع مجموعة من التوجهات الأخرى.

2. 2. أنماط التمثيل

بعد الحديث عن مفهوم الهوية، يأتي التمثيل الذي يأخذ بعدين؛ الأول سردي والآخر ثقافي وهذا بحسب مجال الاستعمال؛ إذ يعود أصل مصطلح (représentative) إلى حقل السياسة وما جاورها وهو "وظيفة يؤديها الممثلون الذين يُفهمون بمعنى من يتحدث بالنيابة، وقد يكون معنى تمثيل شخصية معينة من لدن ممثل وهو المعنى الذي يعود أصله وتاريخه إلى القرنين السادس عشر والسابع عشر إذ يقوم المحامون بتمثيل موكليهم، وفي الديمقراطيات البرلمانية يتخذ النواب أو الممثلون القرارات نيابة عن السكان الذين يمثلونهم، وبهذا المعنى تقابل الديمقراطية التمثيلية ديمقراطية المشاركة "[15]، فالتمثيل هو نيابة شخص عن آخر أو مجموعة من الأشخاص في إطار معين، وقد تطور هذا المفهوم فيما بعد فشكل "موضوعه كإحدى المشكلات المعيارية في فلسفة المعرفة، وصار يحتل مكانا هاما في الدراسات الإعلامية والثقافية "[16]، وهذا بعد استعمال المصطلح في نظريات الرواية، وبحوث رواد ما بعد الكولونيالية.

يحمل التمثيل بعدين "فمن وجهة أولى يعدُ وسيلة من وسائل التعبير والكشف عن القوة والهيمنة، إنه دليل ومؤشر على توفر هذه القوة والهيمنة، ومن جهة ثانية، فإنّ التمثيل يعمل كأداة من أدوات هذه القوة والهيمنة، أنه وسيلة إخضاع للآخرين والهيمنة عليهم، ومن ثم استمرار القوة ودوام الهيمنة "[17]، فالقدرة التي يمتلكها التمثيل تجعله يؤدي دور الاخضاع والهيمنة، ومنه يمكن القول أنّ صاحب التمثيل تكون له الحرية في إخضاع أي جهة يريدها.

لكن الانتقال بالمصطلح إلى مجال الدراسة الأدبية يجعله مختلفا بعض الشيء عن مدلولاته السياسية أو الاقتصادية وحتى الفلسفية، فكما هو معلوم أنّ الأدب مادته اللغة والتمثيل الأدبي "يتم بواسطة أدوات متعددة لعل في طليعتها اللغة، فبواسطتها يلجأ المبدع إلى تمثيل المشاعر والأحاسيس والرؤى التي تعتمل في كيانه، فيُحققها تمثيلا من خلال صور ينسجها

مستفيدا في ذلك مما توفره المخيلة باعتبارها خزانا رمزيا هائلا "[18]، واللغة تسعى إلى إعادة تصوير الظواهر الموجودة في إطار جديد يقوم على فكرة الابتعاد عن المرجع قدر الإمكان.

والتمثيل– كما تمت الإشارة – يملك داخل الأدب حرية كبيرة في أنّ يتصرف بنوع من السلاسة مع المعطيات التي يريد تصويرها؛ من منطلق كونه وسيلة فنية "لالتقاط أنغام الواقع وأصدائه، فإنه يجوز النظر إلى الموضوع الممثل باعتباره مماثلا للواقع، أو بديلا عنه، ذلك أنّ معرفتنا بالواقع تتسم بكونها غير مكتملة، وكل ما يتحصل لدينا لا يعدو أن يكون تمثيلا نسبيا لا يخلو من التأثيرات الذاتية "[19]، فالتمثيل يسعى قدر الإمكان إلى تجاوز الواقع، وتعديل زاوية الرؤية بالنسبة للأشياء المبهمة، غير أنّ المبدع لا يستطيع ترك مساحة للمتخيل دون أن يحاول إبراز ذاتيته قدر الإمكان، ونقصد بالذاتية الموقف أو الرؤية التي يريد إيصالها.

تتجلّى قدرة التمثيل في استطاعته الفائقة على رصد ما يريد من منطلق ما "يكتسب من حرية كبيرة يتمتع بها، وذلك حين يكون هذا الآخر الممثل أو موضوع التمثيل صامتا أو عاجزا عن النطق وتمثيل ذاته، ومن هذا المنطلق فإنّ إخراس صوت الآخر الممثل يمثل مطلبا عزيزا على كل أنظمة التمثيل "[20].

وإذا كانت "المعرفة المتحصلة عبر التمثيل مثقلة بالذاتية موافقة في ذلك لبنية جوهرية من بنى الذاكرة، وهي البنية الاختزالية الانتقائية، يترتب على ذلك أن لا يكون في التمثيل مجال للحديث عن الأمانة، وفي إدراك كل ما له صلة بالموضوع الممثل حتى وإن كان الكاتب يصدر عن رغبة عميقة في ذلك "[21]، فهو يجانب الحقيقة لكونه يعتمد على التخييل بدرجة كبيرة، بخاصة إذا تناول بعض الطابوهات أو المحرمات، ومن هنا يمكن القول بصدق الصورة أفضل من التمثيل.

يجد التمثيل حضورا قويا في مجال الأدب بفعل اتكائه على فعل السرد لأنّه يقوم بتركيب المادة المتخيلة، وينظم العلاقة بينها وبين المرجعيات الثقافية والواقعية، بما يجعلها تتدرج في علاقة مزدوجة مع مرجعياتها، فهي متصلة بتلك المرجعيات لأنّها استثمرت كثيرا من مكوناتها، وأضافت لها بعض التصورات المتخيَّلة[22]، فالأدب هو تمثيل لمختلف مظاهر كينونة الإنسان، وتجسيد بواسطة اللغة لكل أنماط حياته ومظاهر وجوده، وكل ما يؤثر ويُسيّر حياته.

ولعل الرواية هي أكثر الأنماط السردية قدرة على التمثيل باعتبارها "أكثر نظم التمثيل اللغوية قدرة في العالم الحديث من حيث إمكاناتها في إعادة تشكيل المرجعيات الواقعية والثقافية وإدراجها في السياقات النصية، ومن حيث إمكاناتها في خلق عوالم متخيلة توهم المتلقي بأنها نظرة العوالم الحقيقية ولكنها تقوم دائما بتمزيقها وإعادة تركيبها بما يوافق حاجاتها الفنية، دون أن تتخلى في الوقت نفسه عن وظيفتها التمثيلية "[23]، من منطلق أنّ الرواية تستطيع اختزال وإعادة تركيب الواقع مهما كان بآليات وصيغ مختلفة، وهي أبرز الأشكال لظهور صيغ التمثيل المختلفة.

ينقسم التمثيل في مجال الأدب إلى قسمين حسب ما بيَّنَه الناقد عبد الله إبراهيم – من خلال أعماله المتعددة في ميدان السرد – وهما:

2. 2. 1. التمثيل السردي

وهو "أحد أكثر الموضوعات المثيرة للجدل في أوساط المتخصصين بالدراسات السردية، إذ هو الكيفية التي تتشكل بها المادة السردية وطرائق تركيبها وأساليب السرد ثم الرؤى والمنظورات التي من خلالها تنبثق كل عناصر البناء الفني وأخيرا الإحالات التمثيلية للنصوص على مرجعيات من خلال درجات متعددة من مستويات التأويل "[24]، فالتمثيل السردي هو تلك الطريقة التي يُمثل ويصور بها المبدع بعض العناصر الموجودة أمام واقعه مراعيا خصائص وشروط النوع الأدبي؛ الذي يكون

بصدد إنتاجه، أو هو "كل خطاب يقدّم لنا حكاية خاصة عن ظاهرة أو قضية مخصوصة "[25]؛ أي أنَّ السرد عندما يُمثِّلُ ظاهرة أو مجموعة من الظواهر، فإنّه يقدم صورة معينة لنمط حياة الفرد، إذ بواسطة التمثيل السردي نتمكن من الوقوف على كل ما يتصل أو يتعلق بالوجود البشري لأنّ الأمم – كما يقترح النقاد – هي ذاتها سرديات ومرويات، والقوة على ممارسة أو منعة كبيرة الأهمية للثقافة والإمبريالية[26]، هذا من منطلق قدرة التمثيل على خلق وإثارة بعض القضايا والنقاشات الجزئية، فهو مهما حاول البحث في الجوانب الجمالية الواقعية، فإنّه يقصد تمثيل ما يتصل بالحياة البشرية كالتاريخ أو الثقافة.

يؤدي التمثيل السردي دورا مهما في عملية الإبداع الأدبي؛ إذ يُعَدُّ "وسيلة لتشكيل المادة الحكائية وذو وظيفة تمثيلية شديدة الأهمية في الرواية، فهو يقوم بتركيب المادة التخيلية وينظم العلاقة بينهما وبين المرجعيات الثقافية الوقائعية بما يجعلها تندرج في علاقة مزدوجة مع مرجعياتها فهي متصلة بتلك المرجعيات لأنّها استثمرت كثيرا من مكوناتها وبخاصة الأحداث والشخصيات والخلفيات الزمنية والفضاءات، لكنها في الوقت نفسه منفصلة عنها لأنّ المادة الحكائية ذات طبيعة خطابية فرضتها أنظمة التخييل السردي فالسرد في وظيفته التمثيلية يعيد ويركب ويخلق ويعيد تخليق سلسلة متداخلة من عناصر البناء الفني "[27]، فقدرة السرد على أداء مجموعة من الوظائف التمثيلية تتجلى في كونه يتحرر من "الضوابط الصارمة التي تكبل حركته وتنقص فاعليته، فهو فعل لا حدود له، يتسع ليشمل مختلف الخطابات سواء كانت أدبية أو غير أدبية يبدعه الإنسان أينما وجد، وحيث ما كان "[28]، فبفضله تمكنّ الفرد من معرفة الثقافات، والماضي التاريخي، وشاهد مجموعة من العوالم المتخيلة، وبفضله يمكن رسم مجموعة من الصور الذهنية عن الآخر وعن الذات وعن الهوية، وغيرها من مظاهر الوجود أو مختلف أنماط التفكير، التي عرفها البشر منذ القدم.

2. 2. 2. التمثيل الثقافي

صار التمثيل ثقافيا بعد "أن صار النص الأدبي ظاهرة ثقافية وما دام النص صار يحمل خليطا من الأنساق الثقافية، كان لا بد على التمثيل أن يطوّر إمكاناته وخصائصه حتى يمكنه أن يسع ذاك الانفتاح في دلالة النص الأدبي "[29]، فالنص الأدبي هو رؤية جامعة لكل المظاهر التي نعيشها والتي نسعى لإقامتها، كما أنّه مجال للإجابة عن بعض الأسئلة التي لا نجد لها إجابات في حياتنا، وبخاصة إذا تعلقت هذه النصوص بالحوادث التاريخية التي ظلت مغفلة أو تم تجاوزها لغايات أخرى.

فالأدب يصبح تمثيلا ثقافيا إذا انطوى على أنساق مضمرة يحاول بعثها في صيغ وآليات مختلفة إذ "يموضعنا التمثيل الثقافي في القلب من القصدية التي ينطلق منها سواء باسمه أو باسم الجماعة التي ينتمي إليها، وهذا ما أدى إلى تبلور منظورات تصورية بالغة التنوع بحيث لا تقف عند الوظائف المحايثة للنصوص والتي يضطلع بها، كعلاقة السارد بالتمثيل والعالم المشخص داخل الرواية "[30]، باعتبار التجارب المجسدة داخل الإبداع الأدبي هي خزان رمزي لمظاهر الحياة، وصيرورة المجتمع.

ويذهب التمثيل الثقافي إلى رصد الظواهر الواقعية وإعادة بلورتها لكونه "الكيفية التي تقوم بها النصوص في إعادة إنتاج المرجعيات وفق أنساق متصلة بشروط إنتاج النوع الأدبي ومقتضيات خصائصه النصية وليس امتثالا لحقيقة المرجع؛ فالمرجع مجموعة أنساق ثقافية محملة بالمعاني الاجتماعية والنفسية والفكرية في عصر ما "[31]، ومن خلاله يستطيع النص اختزال الظواهر الثقافية، وإعادة تجسيدها خدمة للموقف الذي يريده.

ودراسة التمثيل الثقافي تستهدف بالأساس محاولة الاقتراب من العلاقة الملتبسة بين الواقع الملموس الذي تستمد منه الرواية الآثار والعواطف والأنساق، وما يؤول إليه من صور ودلالات ورموز لا يمكنها أن تحل مكانه أو أن تفي بجميع أبعاده وتصوّراته [32]؛ إذ تهدف هذه العملية إلى الوقوف على البعد الواقعي ولكن ليس بضرورة وجود صور مطابقة له ولا ناسخة لأبعاده، بل معرفة بعض العناصر الجديدة المشكلة بفعل قوة المخيلة، وكذا إدراك هذه القوة التي تكتبها الظاهرة الممثلة التي

توظف السياقات التاريخية والاجتماعية، التي يُنتج بها صورة معينة عن الموضوع الممثل، لأنّ التمثيل الثقافي داخل نص أو مجموعة من النصوص إنّما له مرجع أو سياق خارجي يعتمد عليه، وليس شرطا أن يكون حقيقيا بل قد ينافي وينسف المعارف المتداولة، وأوضح مثال هنا هو الرواية التي تعتمد على التاريخ في بنائها الفني.

بعد عرض مفهوم الهوية ومفهوم التمثيل نصل إلى كيفية تمثيل الهوية، أو الكيفية التي يتقاطع فيها المفهومان.

تمثل الهوية في ميدان الإبداع الأدبي حاملة لمجموعة من الأبعاد النفسية والاجتماعية والتاريخية؛ إذ نجدها "شخصيات تمثل الأنا أو كشخيصات تعد وظائفها من الأساس وظائف الأنا، أي أنّها تتناول علاقة الفرد ببيئته "[33]، هذه البيئة تلعب دورا هاما في إثراء الهوية وبلوتها.

يخضع تمثيل الهوية إلى بعض الممارسات التي تنتجها ثقافة المبدع أو المفكر وتختلف تبعا لاختلاف الموقف أو الرؤية التي يحاول تمريرها وهنا تبرز "ألاعيب الكتابة في تمويه الواقع وتزييف حقائقه، وتتعامل مع النص الإبداعي ليس بوصفه انعكاسا للواقع أو ترجمة أمينة لحياة صاحبه، وإنما بكونه تشخيصا مغايرا لعناصر الكون وتعبيرا عمّا تُضْمِرُهُ الذات من أحلام وتطلعات وحقائق ملتبسة وغامضة "[34]، فقدرة الكتابة تغير من مدلول الهوية بفعل ما يتيح لها التمثيل من وسائط ومعارف وحيل.

إنّ ما يمكن قوله ختاما عن تمثيل الهوية، هو أنها تحاول أن تعرّف الأفراد بالوظائف الحقيقية لهوياتهم "فهي من جهة تمنحهم إمكانية تنظيم إدراكاتهم حتى يتمكنوا من توجيه تصرفاتهم داخل المحيط الذي ينتمون إليه ويعيشون فيه، وتمكنهم من جهة أخرى من إقامة تواصل بينهم من خلال وضع ضوابط لتواصلهم مع تواريخهم الشخصية والجماعية "[35]، لذا نجد غالبا جدلا بين الهوية والتمثيل؛ هذا الأخير الذي يبتعد عن الحقيقة في بعض الأحيان أو يقدم بعض الحقائق الصادمة.

فالهوية الممثلة قد تكون عبارة عن الموقف الحقيقي الذي تحاول جماعة ما إخفاءه أو إظهار غيره، أو تكون عبارة عن حلم يحاول صاحبه أن يجد له حضورا في الواقع فالسياقات الخارجية وبخاصة التاريخ يحاول دائما أن يفرض نوعا من الهيمنة على مظاهر حياة الفرد، ومن هنا تغدو الهوية الممثلة غير مكتملة الملامح، تسعى قدر الإمكان إلى تجسيد حضورها، أو تجد نفسها في دائرة صراع مع بعض المشاريع التي تسعى إلى عرقلة تحققها ونموها الخاص.

وبخاصة إذا أدرج التمثيل موضوع الهوية انطلاقا من بروز صدام بين "الأنا في مقابل الآخر حين ينظر إليها بوصفها تلك الخصوصية في التفرد التي تشير إلى مجموعة الصفات الملازمة لشيء ما لتقدمه بشكل مغاير، على النحو الذي يؤسس بين الأنا والآخر حوار هويات أو تنازع هويات بحسب العلاقة وطبيعتها في الزمان والمكان الذي تتحول الهوية فيه إلى مطلب اجتماعي "[36]، فهي تُمثل باختلاف النصوص وفق فرضيات مختلفة لكن ما يهم هنا هو دور التاريخ في طبعها بسمات عصره، هذا التاريخ الذي يُقدم في النصوص الإبداعية بصيغ أخرى، وهذا ما سيحاول العنصر الموالي الكشف عنه انطلاقا من قدرة الرواية على تقديم الهوية وفق شروطها الخاصة.

3. الرواية وتمثيل الهوية والتاريخ

يقول إدوارد سعيد: "إنّ القصص والمرويات تكمن في اللباب وتغدو الوسيلة التي تستخدمها الشعوب لتأكيد هويتها الخاصة ووجود تاريخها الخاص "[37]، وهذا راجع إلى كون الرواية عبارة عن رؤيا جماعية للأفراد؛ من خلال تطلعاتهم نحو مستقبل أفضل وحياة جيدة.

والرواية تعالج مظاهر الحياة والوجود من خلال شخصيات ورقية، هذه الشخصيات تُجسد عالما ثانيا يحمل في ثناياه مجموعة من الأسئلة والإشارات الدالة المتعلقة بمظاهر حياة الإنسان، ولعل قدرة السرد على الترميز يدفع بالهوية نحو التشكل

والتمظهر الذي يريده المؤلف، أو الموقف الذي تحاول أن تتبناه أو تثيره، فالهوية هي رهانات لجدل الحياة التي تتقاطع مع السرد في نقطة رُسُوٍّ إذ "تكمن فيما يمكن تسميته الخاصية ما قبل السردية للتجربة الإنسانية، فالحياة توصف بكونها قصة في طور الولادة وكذلك توصف بكونها نشاط وعناء بحثا عن السرد، ولا ينحصر استيعاب الفعل بألفة شبكة الأفعال المفهومية وبوساطاتها الرمزية، بل إنه يمتد بقدر ما يتعرف على ملامح الفعل الزمانية التي تستلزم السرد، وليس نتيجة المصادفة أو الخطأ، إننا كثيرا ما تحدث لنا قصص أو نُوَرَّطُ فيها، أو مجرد قصص_حياة "[38]، فالأمم في أصلها عبارة عن مرويات وقصص لأحداث وتجارب، ومن هذا المنطلق تتشكل الهوية لتكون عبارة عن مجموعة لتجارب بشرية.

هذه الأحداث المجسدة داخل الرواية تشكل وتنتجُ الهوية الشخصية من خلال البحث عن ملامحها وخصائصها، مما يضمن الاستمرار والتواصل بين القصة الممكنة أو الضمنية والقصة الصريحة أو الفعلية التي تنتجها [39].

لقد قيل سابقا أنّ الهوية تشبه الزئبق الذي لا يمكن الإمساك به، كذلك ينطبق عليها هذا التوصيف داخل النص الأدبي، فالأدب في نهاية الأمر صورة لزاوية محددة من الحياة، ومنه فهي تتأثر داخله بفعل "حركته داخل الزمن [التي تخضع] بالضرورة لعامل التغيّر، ونظرا لأنّ حركة الواقع الإنساني تتغير داخل الزمن وتمضي فيما يشبه القانون – من الأبسط إلى الأكثر تعقيدا–، فإن استقراء التاريخ الإنساني يشير أيضا إلى أن الظاهرة الإبداعية تنتقل من البسيط إلى المركب، وهذا التصاعد باتجاه المزيد من التركيب يشير بأنّ مضمون العمل الإبداعي يتجه بدوره إلى نوع من التعقيد المتزايد والذي يؤثر على طبيعة المعنى داخل النص الأدبي عامة "[40]، باعتبار أنّ النص عبارة عن تمثيل للواقع الإنساني؛ المعقد والمركب والمبهم الذي ينتظر بعض الإجابات.

عندما تتكئ الرواية على السرد، فهو وسيلة مهمة لفهم معطيات الوجود الإنساني فقد شكّل "دورا ابستمولوجيا بالنسبة للتابع (الشرق، الشعوب، الأقليات، السود...) وسلاحا رمزيا استراتيجيا للتعبير عن نفسه وتأكيد هويته بالأصال عن نفسه "[41]، فلولا السرد الروائي لما تمكنا من معرفة الأبعاد الكبرى لهويتنا وخصائصها، وتعتبر جدلية الهوية والتاريخ من أكثر العناصر التي عبّرت عنها الرواية، باعتبار هذا العنصر الفعال في الهوية "ضربا من ضروب السرد، فأحداثه لا يمكن الوصول إليها إلا من خلال وسيط هو في الغالب النص التاريخي، وهذا النص كما يجادل "هايدن وايت" يقترب كثيرا من النصوص الأدبية والسرد على وجه الخصوص "[42]، فالتاريخ مرجعية كبرى في الهوية يُمَثَّلُ في الرواية حاملا لمدلولات رمزية هائلة لا تحاكيه كما وقع، بل تحاول أن تبعث دور هذه الحوادث في إثارة قضايا الوجود.

يذهب بعض النقاد إلى اعتبار السرد المرتبط بالحياة تجسيدا لواقع معاش فهو يعتبر "الأرضية المشتركة التي يلتقي عليها الكثير من النظريات والتيارات النقدية والفكرية والفلسفية، وإذا كان هذا التعدد في الخلفيات النظرية والمنهجية التي انطلاقا منها يتم هذا التفكير، يكشف الثراء والغنى الثقافي الاجتماعي لممارسة السردية "[43]، فالرواية والسرد يُعتبران أوسع المجالات لتمثيل الظاهرة الثقافية أو العقائدية، والكشف عن الأنساق المضمرة التي تطبع الهوية بمجموعة من الصفات، إذ يمكن اعتبار الهوية داخل أي نص سدا لفراغ موجود في الواقع، أو إثارة لقضية تحاول المؤسسة الأدبية تجاهلها، أو تجاوزها كعلاقة اللغات المكتسبة بأفرادها، وعلاقتهم بها.

وتتجلى قدرة الرواية في تمثيل الهوية من خلال مجموعة من النقاط طرحتها الباحثة شهلا العجيلي، والتي ارتأيت تلخيصها كالآتي:[44]

– أنَّ الرواية نص سردي، والسرد يمتاز بالرحابة، وتتجلى قدرته في دمج ما تحت الأدبي بعملية التسريد للعناصر الدالة على بنية الهوية إلى عناصر سردية أو روائية، كالدين التفكير، التاريخ، اللباس وغيرها.

– تشكل الرواية الحقل الذي تنفجر أسئلة الراهن فيه على شكل صيغ فنية جمالية، تقدم وتأتي بالجديد، وفي الوقت ذاته تبحث عن المسكوت عنه، وبذلك تقدم عبر هذا النص البنية الثقافية للهوية في حركتها الاجتماعية، فتصدر بذلك كل قضاياها ومجموع رُؤاها، وطموحاتها وآمالها وتطلعاتها وظروف وملابسات حياتها.

– يعتبر النص الروائي إحدى أيقونات الحياة، الذي يمكن أن يختصر التاريخ والجغرافيا ويشير إلى أهم العناصر الفاعلة التي تكوِّن الهوية، والتي تحاول الرواية الاشتغال عليها لضمان استمرارها وديمومتها.

تحاول الرواية الاقتراب من جوهر الإنسان قدر المستطاع لكونها أكثر "الأجناس الأدبية تجسيما للعبة التناص والتداخل بين النصوص واللغات والتعبيرات، ومن ثم كانت الأقرب إلى الممارسات التي يُعنى بمساءلتها التحليل الاجتماعي، باعتبار أنّ ما يُشكِّلُ نقطة الارتكاز إلى الفهم والتأويل ليس المتكلم فحسب وإنّما أيضا الخطاب الذي ينتجه بمعية الشخصيات الأخرى "[45]، هذه الشخصيات هي هويات فردية منصهرة في هوية جماعية كبرى.

ينبغي لنا معرفة أنّ الهوية اليوم في مفترق طرق بسبب بروز بعض العوامل التي تحاول تعديل مسارها إذ أنَّ كثيرا من "العوامل الثقافية والسوسيو معرفية برزت للوجود مع تطور خطابات النسوية وما بعد الاستعمار والجنوسة بالتوازي مع انتشار ظواهر الأقليات المهاجرة، بروز شرائع اجتماعية منبوذة من قبل الحضارة المعاصرة ممثلة في السود والملونين والمدمنين، ومرضى الإيدز والغجر والمثليين، والجماعات الأصولية والخلايا الإرهابية "[46]، فالهوية حاليا تعيش إعادة إنتاج وفق معطيات العصر، فهي في مرحلة ظهور مكتسبات جديدة تنضاف إلى مكتسباتها السابقة.

من هذا المنطلق استطاعت الرواية أن تقوم بتمثيل وإعادة إنتاج كل ما يتعلق بمظاهر الهوية، أثناء بحثها الدؤوب عن ملامحها، لكن هذا التمثيل كثيرا ما يتعارض مع ما هو معترف به، لذلك فهي في حالة تطور مع ما يمر به الإنسان، وداخل هذا الشكل الذي تمكن الإنسان من الوصول إليه في العصر الحديث، مطورا لكل الجهود التي يخوضها، إذ استعاد فيها ذاته بعد أن فقدها في أثناء توغله داخل أنفاق العلوم وسراديب التخصصات الدقيقة التي تغرقه في جزئياتها، بحيث يعجز معها عن إمكانية استعادة منظاره الشامل للعالم الذي به اكتشف الوجود وكل ما كان يجهله، والذي عجزت التخصصات الأخرى أن تكشف سرّه وماهيّته [47]، وهذا بفعل طاقاتها الهائلة على اختزال وإعادة إنتاج كل ما يتصل به.

تتبلور قدرة التمثيل للهوية داخل الخطابات الروائية أثناء تقديمها لمجموعة من التصوّرات الثقافية والاجتماعية، لأنّ الثقافة التي ينتمي إليها الفرد تؤدي دورا فعالا في إبراز سماته وخصائصه التي تميزه هو وبني جلدته، فالإبداعات الأدبية تعمل على نقل هذه الصورة؛ إذ تغدو "القصص الوسيلة التي تستخدمها الشعوب لتأكيد هويتها الخاصة، ووجود تاريخها الخاص، والأمم تتحول إلى سرود ومرويات، والقوة تتمثّل في القدرة على ممارسة السرد، ومنع سرديات أخرى من أن تتكون في الوقت نفسه، كما أن السرديات الكبرى تُتَوَّرُ وتُحَرَّرُ "[48]، فالفرد إذا أراد ايصال صوته أو ثقافته أو وجوده، لابد عليه من ممارسة السرد؛ هذا الأخير هو ما تقوم عليه الرواية، فلولا السرد لما تمكنّا من معرفة أي شيء عن حالات الأفراد في الماضي.

إذا يمكن القول أنّ الرواية أكبر الأجناس لتمثيل الهوية على اعتبار خصوصيتها في هذا المضمار فـ "اكتشاف ما يمكن للرواية أن تكتشفه هو المبرر الوحيد لوجودها، إذ أنّ المعرفة هي خلق الرواية الوحيد "[49]، فالمجهول المتعلق بأي جانب إنساني تكشفه بواسطة قدرتها على التمثيل.

هذا التمثيل قد يميل في الغالب إلى طرح ثنائية جدلية هي ثنائية الأنا والآخر، فلا يمكن تصور وجود هوية دون أن تطرح هذه الثنائية، كما لا يمكن تصور خطاب إبداعي دون وجودهما وهذا يتم بواسطة "تمثيل للذات أو الآخر، فقدرة التمثيل هي التي تعطي لنفسها صورة عنها أو عن الآخر، وهو الذي يصنع لهذه الجماعة معادلا لما يمكن تسميته –حسب بول

ريكور– الهوية الجماعية "[50]، والباحث في مدلولات هذه الثنائية يجد بأنها قد نالت اهتماما بالغا خاصة في الدراسات الفلسفية والنفسية، لكن يمكن القول أنها تتجاوز هذا الأمر لتقترن بالهوية الثقافية، إذ تعبر في النص الروائي عن خزان يحيل إلى مضمر نسقي وبخاصة في محاولة أَحَدُهُمَا إثبات طابع الأصالة عن المناقض له.

3. 1. تمثيلات الأنا

يشير مصطلح الأنا في الدراسات النفسية إلى ذلك "الجانب الواعي من الشخصية كما أنه يشرف على كل وسائل الحركة؛ أي هو تفريغ للتهجينات في العالم الخارجي، وهو المنطقة الواعية التي تشرف على جميع العمليات العقلية "[51]، فهو ذلك المركز الواعي في النفس البشرية ويمثّل الشخصية بكل مواصفاتها وملامحها ومخزوناتها، وما تكتسب، والشخصية تعادل الهوية في حملها لمجموعة من المرتكزات والمكونات التي تؤكد اختلافها.

يُمثّل الأنا في الرواية باعتباره "شخصيات أو كشخصيات تعد وظائفها من الأساس وظائف الأنا، أي أنها تتناول علاقة الفرد ببيئته، وبنفس الأسلوب يمكن أن نجد الأغراض والمؤسسات والظواهر الأخرى التي تمثل أو تعكس الأنا، ويدافع الأنا عن نفسه من المضايقات أو الهجمات التي تُلقى عليه من الآخرين وذلك من خلال استخدام عدد من آليات الدفاع كالقمع والانكار والتناقض الوجداني والتنحية والايعاز "[52]، الأنا يظهر في الرواية حاملا لمبادئ وقيم مجتمعه أو الثقافة التي ينتمي إليها، وإن كان غير راض عنها، كما أنّه يمثل منظورا عاما عن هوية الجماعة، ويمارس أساليبه الخاصة في تمرير ما يريد مستخدما الوسائط المتاحة فإن أراد إثبات هويته وأصالته، فإنه يعمد إلى تسخير ما يمكنه لأجل تمرير خطابه، فمثلا نجد هذه الهوية التي تمثل الأنا في ما يطلق عليه عبد الله إبراهيم (الرواية الحضارية)* التي يحاول فيها العربي نقل هويته إلى مصاف ومجالات أوسع في صدامه مع الآخر.

ويعمل الأنا داخل الرواية من خلال حمله للهوية الثقافية للجماعة المنتمي إليها؛ إذ يغدو عبارة عن "علاقة تطابق مع الذات عند شخص ما أو جماعة اجتماعية في جميع الأزمنة وجميع الأحوال فهي تتعلق بكون شخص ما أو جماعة ما قادرة على الاستمرار في أن تكون ذاتها وليس شخصا أو شيئا آخر "[53]، فالأنا يبسط بوسائله المتاحة خصوصية هويته وكيانه وانتمائه.

إلى جانب هذا نجد الأنا في الرواية عبارة عن صور ومعرفة لأصول حضارية وثقافية وتاريخية، التي ينشأ بموجبها المجتمع، ويتطوّر وتكون سببا في تطوره أو تدهوره [54]، بخاصة إذا جاءت هذه الصور في مراحل الانتقال الكبرى والتحولات المصيرية، إذ تبرز ملامح جديدة للهوية، فتحاول الرواية تمثيلها في عدة جوانب تبدي من خلالها رغبة المؤلف في إبراز خصوصية هذه الأنا.

وكلّما كان التمثيل قويا عن الأنا، كان حضور الهوية كبيرا ومثبتا لقوتها وجدارتها ويتم هذا التمثيل عبر "أحد الاتجاهين التمثيل الثقافي غير التخييلي (الحقيقي) وتمارسه أشكال من الخطابات التي تدعي تحررها من الخيال ونزوعها إلى الحقيقة، وذلك بقراءة الأنا انطلاقا من المرجعية التاريخية التي تتسم بالواقعية، والتمثيل الثقافي التخييلي ونعني به التمثيل الذي كانت ولا تزال تمارسه أشكال من الخطابات الروائية التي تقوم على ذلك السرد التخييلي "[55]، إذ يتم فرض صورة معينة على المتلقي أثناء تلقيه لعمل ما، وفي هذا الموقف يرادف الأنا الهوية الفردية التي تؤسّس لنوع من المعرفة أو العلاقة الجديدة، والحاملة لمضامين خاصة بها تحاول إبرازه، والعمل على تمريره وممارسة هيمنة على المتلقين.

طبعا لا يمكن نفي التوجه الإيديولوجي في بلورة الهوية الخاصة به انطلاقا من دورها الفعال في تأكيد هوية المنتمين لها، كذلك نجد الأنا قد يحمل في الرواية منظورا للهيمنة ومقاومتها؛ إذ يكفي ملاحظة الكتابة النسوية التي تبرز خصوصية المرأة، هذه الخصوصية التي تجد في مجال الكتابة حضورا أوسع.

ويمكن كذلك أنّ نجد الأنا الهامشي الذي يعبّر عن وجوده، إذ يكفي الإشارة إلى أدب الأقليات والسود وغيرهم، وهم يحاولون التعبير عن ذواتهم، وحقهم في البروز والظهور عن طريق "الاحساس بالهوية الذاتية، أو الآخرين المنتمين إلى مجموعة يتشاركون ماديا ومعنويا الأصل أو اللغة أو رابطة الدم، أو الدين أو التاريخ أو حتى المواصفات الجسدية العضوية"[56]، وهو في أحواله إشارة إلى الأنا في مواجهة الآخر.

يؤدي الأنا داخل الرواية بعدا اجتماعيا، ثقافيا وفكريا، وهذا المجتمع هو هوية كبرى يحمل ما يمكن حمله من نوازع ودوافع يسعى إلى إثباتها، أو يسعى إلى الثورة ضدها محاولا في الوقت نفسه إيجاد بديل فالثورة "على بنية الواقع الاجتماعي هي من منظور الحداثة ثورة الوعي بهذا الواقع المتحققة على مستوى البنية اللغوية داخل الرواية "[57]، إذ تحمل هذه المعارف مجموعة من الإشارات الدالة على بؤرة ما في الهوية، أو توجه جديد يسعى للظهور والبروز.

3. 2. تمثيلات الآخر

والمحور الثاني الذي يحدد الهوية هو الآخر، فالأنا تكتمل به، وتبني تصوراتها من خلاله لأنَّه "متعلق بالذات تعلقا لا فكاك منه، شأنه في ذلك شأن ارتباط الحياة بالموت والذات في استبعادها للآخر إنما تستبعد وتقصي الإنسان نفسه "[58]، فلا تمظهر للأنا إلا عن طريق ظهور الآخر الرافض لها والساعي لمجابهتها، ولا يشترط فيه أن يكون مخالفا في الانتماء، إنما يحمل معان ومعارف تعارض الأنا، كالصراع بين الأجيال داخل مجتمع محدد.

يظل الآخر يعمل كنقيض للأنا فهو "مصدر تهديد لها ومن هنا أصبحت الذات مهددة مرتين من ناحية المحافظة على أصالتها وهذا يعني التخلف عن الآخر، وربما الموت، أو القدرة على التغيير والانفتاح على الآخر مما يحقق لها التواصل والتعايش "[59]، وقد تم توظيف هذا المدلول في الرواية لكشف ذلك المقابل الغامض الذي تسعى الأنا لمحاربته وتقويض معالمه؛ حتى لما يحمله من الحمولات الإيديولوجية، والمنظورات الدينية، والمواقف السياسية، والذوق الفني، والممارسة النقدية، والمنهج المعرفي، ونوع الجنس واللون المختلف [60]، فأينما وجد الأنا وجد الآخر مقابلا له، حتى على صعيد الفرد ذاته فكثيرا ما تتعارض حمولتان ثقافيتان في كيان الهوية.

فالهوة تتسع بينهما كلما حاول طرف أن يحل محل الآخر، لكن تبقى قدرة الرواية على بلورة التخييل، متحكمة في كيفيات إظهار طابع الصراع بينهما، إذ من المسلم به أنّ الآخر يعمل أيضا ضمن برنامج سردي مضاد لبلورة هويته الخاصة، ولو بمحو هوية الأنا والسيطرة عليها.

وتجدر الإشارة إلى أنّ الآخر "ليس مفهوما فرديا وفقط، إنه مفهوم جمعي أيضا فكما أنّ الفرد يشكل تصوراته عن الآخر بناءًا على تصوره لذاته؛ أي أنّ هناك تلازم أيضا بين هذين الصورتين (صورة الذات) و(صورة الآخر) على المستوى الجمعي كما هو على المستوى الفردي "[61]؛ حيث يتشكل في النص تصور جمعي عن الآخر الجمعي المناقض له، إذ يمكن أن نمثل لأي رواية تحدثت عن الثورة الجزائرية، فالفرنسي هو الآخر المناهض، رغم وجود من كان يدعم القضية الوطنية.

تلجأ الرواية إلى طرح الآخر من حيث كونه "الكائن المختلف عن الذات، وهو مفهوم نسبي ومتحرك وذلك أنّ الآخر لا يتحدد إلا بالقياس إلى نقطة مركزية هي الذات وهذه النقطة المركزية ليست ثابتة بصورة مطلقة، فقد يتحدد بالقياس إليّ كفرد، أو إلى جماعة معينة قد تكون داخلية كالنساء بالقياس إلى الرجال والفقراء إلى الأغنياء، أو خارجية بالقياس إلى مجتمع بصورة

أعم "[62]، فحيثما كانت الهوية خاضعة لبؤرة معينة يمكن اعتبار الآخر منافسا لها، فهو المختلف عنها أو المعارض لها، والتي تبنى معطياتها وفق محاولتها – أي الذات– البروز والاختلاف عنه.

لأَنَّ النص الروائي عبارة عن جملة ثقافية، ولا يمكن إغفال ما تؤديه الثقافة من دور في إرساء معالم الهوية، فالرواية لا يمكن أن تخلو من تمثيل حول الآخر؛ إذ أنَّ حضوره كطرف نقيض شرط ضروري، وهذا ما تقوم بتشكيله عن طريق "حيلتين؛ الأولى حيلة الثقافة المسبقة التي تنتمي لها الذات والتي تحكم هذا الشكل حكما كليا أو جزئيا والثانية حيلة الذات في عملية انتقاءها لملامح صورة الآخر، فقد تنتقي صورا سلبية وتترك عناصر إيجابية وقد تضيف عناصر أخرى غير موجودة أصلا لكي تجعل الصورة كما تحب وتشتهي "[63]، وهذا بواسطة المتخيل الذي تستعمله الرواية وقدرتها على انتاج صور مركبة.

هذه الثنائية التي تطرحها أي رواية (الأنا/الآخر) هي محاولة لتأسيس وعي بالواقع المعاش القائم على الصراع، أو رسم لوعي تاريخي بالمرحلة المعاشة، لأنّ الهوية هي عبارة عن "ارتباط بالتاريخ، ارتباط بالمستقبل، وعندما تغيب أي صلة بالماضي، في أي صورة ولاسيما بالجانب الثقافي والأدبي على نحو خاص، وعدم تضييع الحدود بين الإبداع الذي يربط الجماعة مع الذات ويعطيها صيرورتها وتحولها حتى لا يغدو الإبداع من شطحات الثقافة "[64].

لا تنحصر الهوية المقدمة في النصوص الروائية وفق المنظورين السابقين فحسب، بل تقوم بطرح مختلف الأبعاد المتعلقة بالهوية؛ إذ تُركز على مظاهر أخرى أو هويات جديدة، فقد تتحول الهوية داخل الإبداع إلى اغتراب، يسعى من خلاله هذا الشخص إلى المحافظة على كيانه ووحدانيته من الضياع "فتنقسم الذات على نفسها، وتتحول مما ينبغي أن تكون إلى ما هو كائن، من إمكانية الحرية الداخلية إلى ضرورة الخضوع للظروف الخارجية بعد أن يصاب الإنسان بالإحباط، والإحباط عكس التحقق، وضعف الإرادة، وخيبة الأمل، وتَخَلِ عن الحرية، تشعر بالحزن دون معرفة السبب، وتشعر باليأس والشقاء "[65]؛ إذ تحمل الشخصية طابع الانهزام والفرار من الظروف المحيطة بها، دون معرفة السبب الكامن وراء ذلك.

كما يُعبرُ عن الهوية الثقافية من خلال تجسيد الأفكار والمعتقدات والتقاليد محاولة التأكيد على الجماعة التي تجسدها فـ "للثقافة أهمية باعتبارها نبعا يُغذي الهوية الفردية والجماعية وبالتالي تتحول الهوية إلى استراتيجية تستخدم الثقافة وتغيرها لتصبح مختلفة عما كانت عليه من قبل، ويستخدم من أجل الصراع ونفي الآخر "[66]، فالهوية والثقافة تأكيد وأداة للصراع بين الشعوب، ومحاولة لإبراز الجماعة وتقديمها في صور مغايرة لما هو مألوف أو معروف.

لكن ما ينبغي الإشارة إليه هنا هو دور الروايات في إثبات التلاحم بين الهوية والتاريخ، فالرواية التي تعمد إلى توظيف التاريخ، إنما تثير إشكالية الهوية وتحاول بلورتها من جديد في قالب خاص، يثير أسئلة الهوية، ويحاول الإجابة عنها أو تقديم حلول لها، إذ تتفاعل الهوية مع التاريخ داخل الإبداع الروائي بفعل ما يملك المتخيل من وسائط وآليات، إذ يمنح هذا الأخير "القدرة في الارتباط بالمتغيرات الاجتماعية والسياسية المحلية بشكل بارز، حيث كان لجوء الروائي إلى التعبير عن هواجسه بكافة الطرق الرمزية في لحظات اشتداد القمع والرقابة، ثم جاء التعبير عن هذه الهواجس وقد تحولت إلى محن وكوابيس في لحظات أخرى بدا فيها الانفراج منحة تستبطن شكلا آخر للضياع الفادح "[67]، هذه المتغيرات التي يجسدها المتخيل الروائي ترتبط بالضرورة بدائرة الهوية، التي تنبثق من هواجس وأسئلة في لحظات التحول أو لحظات تَبَدُّل السرديات وانتقال مراكز الثقافة والسلطة داخل المجتمع الذي تنتمي إليه هذه الهوية.

كما أنّ ارتباط الرواية بالواقع المعاش يساعد على بلورة الهوية في "مستويات متدرجة من الذاتي إلى الحلم إلى الإيديولوجي إلى التاريخي الملتبس إلى اليومي الحارق عبر مراحل ليعرف ما تملكه اللغة الروائية من دور في إرساء الهوية، وتعبر عن تواصلها مع الذات والتاريخ برؤية جمالية قادرة على استثمار كل الأشكال التعبيرية الأدبية والفنية وأيضا السفر عبر

أنواع التراث والأسطورة "[68]، فالرواية تضع سؤالا للهوية عن تاريخها، وما يشكله بالنسبة لها من محطات فارقة، وتعيد كتابة تاريخ جديد يتأسس مما هو مغفل ومضمر، وتعيد خلق جو جديد يبحث عن دور الواقع المعاش في تغيير ملامح التفكير دون المساس بالمقدس، عن طريق قوة الترميز.

كما أنّ القدرة التي يمتلكها الخطاب الروائي تساعد على رسم هوية ثقافية مرتبطة باجتهادات في الوعي الجمالي، والتنوع ضمن تحقيق نصوص تمتاح كل العناصر في سياق خلق تخييل قادر على تجدير هذه الهوية وبلورتها، ومنح الكتابة الروائية بعدا رمزيا يعادل الحياة، كما استطاعت أن تحقق تراكمات مهمة أفرزت شكلا ذو أدوات لملاحقة التطور المرتبط بتطور الوعي بشكل عام، وبما كان يجري في الحقول المعرفية، وفي البنيات المجتمعية بكل تقلّباتها [69]، وهذا كله يتحقق بواسطة السرد الذي يأخذ "عنصر الزمان بطابعه الإنساني، وعلى هذا الأساس يغدو الفعل الروائي تعبيرا عن الرغبة في المعرفة، معرفة العالم والمساهمة في تأسيسه "[70]، هذه المعرفة تؤسس لعلاقات جديدة، ربما تكون مجهولة بين الهوية والثقافة والتاريخ، إذ تعطي لها أبعاد أوسع وأشمل لتجد في الأخير بعض ملامح الاستقرار.

أمّا عن التحولات الكبرى التي تواجه الهوية، فيمكن الاستدلال هنا بالهوية الجزائرية التي عرفت منعطفات حادة في مسارها المعاصر، فيكفي الإشارة إلى مجمل الروايات التي كُتبت منذ الاستقلال حتى نلاحظ وجود "سياقين بارزين كان لهما الأثر الكبير في الهوية، وساهما بشكل كبير في تشكيل صورة وتمثيلات كل من الذات والآخر، وهما سياق الثورة والشهداء المرتبط بالفترة الاستعمارية وما بعدها، وسياق الإرهاب الذي يحيل على تسعينات القرن الماضي، تلك العشرية السوداء "[71]؛ إذ فبفضل قدرة الرواية عرفنا هذا النمط من محاولة التأسيس لهوية جديدة؛ فإذا كان السياق الأول طرح ذلك الصراع والنفور بين هوّيتين مختلفتين أو متنافرتين، فالأولى تسعى إلى استعادة مجدها وتحقيق خصوصيتها، والثانية مختلفة تجند كل الوسائل لمحاربتها، والرواية هي خير شاهد على ذلك العصر باعتبارها لا تتماهى في الحقيقة بل تعتمد التخييل لإضفاء متعة وجاذبية للقارئ حتى يتعرف على تاريخه دون مبالغات، أو رؤية أحادية.

فالخطاب الروائي يُمثل الهوية من خلال إثارة بعض القضايا العالقة ومحاولة الإجابة على أسئلة الراهن، ويبحث أسباب تميز الهوية، ويبدي أصالتها من منظور الأنا والآخر، ويبعث التحديات الكبرى التي تواجه الذات، ودور التاريخ في تحريك جل الأسئلة والأزمات التي مرت بها.

خاتمة:

- يتقاطع مفهوم الهوية مع عديد المصطلحات وبالتالي فهو مصطلح زئبقي لا يمكن الإمساك به، أي غير ثابت فهو يخرج إلى معاني متعددة.
- يتقاطع التاريخ مع السرد في كونهما يعتمدان على كينونة الإنسان، إذ يعتبر المادة الرئيسية لكليهما فالجماعات مرويات وسرود.
- تمثل الهوية في الرواية عن طريق استحضار مجموعة من السياقات الثقافية حتى تقدم في الأخير باعتبارها مجموعة من الأنساق وتكون الهيمنة للمكون التاريخي.
- تتكون الهوية من وسائط تاريخية (المكون التاريخي)، أي جملة الأحداث الكبرى التي تؤثر في الفرد ووسائط فكرية متمثلة في طرائق التفكير وتؤثر كذلك الظروف الحيوية والجغرافية في تشكلها.

- أما عن علاقة الهوية بالتاريخ فإنها تطرح من منظورات مختلفة فإذا كان التاريخ جملة أو سجل أحداث ماضية فإنه يسرد الأحداث الكبرى، هذه الأحداث هي مرتبطة بجوهر الهوية.

- يغدو التاريخ عنصرا مرجعيا في تشكل الهوية، إذ ترتبط حياة الفرد بأهم الحوادث المؤثرة في مسارها.

الهوامش والإحالات:

[1]- طوني بينيت وآخرون: مفاتيح اصطلاحية جديدة – معجم مصطلحات الثقافة والمجتمع –، تر: سعيد الغانمي، مركز دراسات الوحدة العربية، بيروت، لبنان، ط1، 2010، ص 700-701.

[2]- صمويل هينتكتون: من نحن- التحديات التي تواجه الهوية الأمريكية –، تر: حسام الدين خضورا، دار الحصاد، دمشق، سوريا، ط 1، 2005، ص 37.

[3]- عبير بسيوني رضوان: أزمة الهوية والثورة على الدولة في غياب المواطنة وبروز الطائفية، دار السلام، القاهرة، مصر، ط 1، 2012، ص 35.

[4]- محمد عبد الرؤوف عطية: التعليم وأزمة الهوية الثقافية، مؤسسة طيبة للطباعة والنشر، القاهرة، مصر، ط 1، 2009، ص 24.

[5] – المرجع نفسه، ص27.

[6]- يُنظر: عزيز العظمة وآخرون: مفاهيم عالمية للهوية، تر: عبد القادر قنيني، المركز الثقافي العربي، بيروت، لبنان، ط 1، 2005، ص 67-68 .

[7] – المرجع نفسه، ص 69.

[8]- محمد محمد داود: معجم التعبير الاصطلاحي في العربية المعاصرة، دار غريب للطباعة، القاهرة، مصر، د.ط، د.ت، ص 38.

[9]- محمد عابد الجابري: العولمة والهوية الثقافية، مجلة المستقبل العربي، مركز دراسات الوحدة العربية، بيروت، لبنان، ع 228، فبراير 1998، ص 14.

[10]- محمد عمارة: مخاطر العولمة على الهوية الثقافية، سلسلة التنوير الإسلامي، دار نهضة مصر، مصر، ع 32، د.ت، ص 06.

[11]- إدوارد الخراط: الأصالة الثقافية والهوية الوطنية، مجلة العربي، الكويت، ع 551، 2004، ص28.

[12]- أحمد بعلبكي وآخرون: الهوية وقضاياها في الوعي العربي المعاصر، مركز دراسات الوحدة العربية، منشورات بيت النهضة، بيروت، لبنان، ط 1، 2013، ص 24.

[13] – يُنظر: المرجع نفسه، ص 28 .

[14] – أحمد بعلبكي وآخرون: الهوية وقضاياها في الوعي العربي المعاصر ، ص 30.

[15]- طوني بينيت وآخرون: مفاتيح اصطلاحية جديدة – معجم مصطلحات الثقافة والمجتمع –، ص 213.

[16]- المرجع نفسه، ص 213.

[17]- نادر كاظم: تمثيلات الآخر- صورة السود في المتخيل العربي الوسيط –، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، بيروت لبنان، ط5، 2004، ص 43.

[18]- إدريس الخضراوي: الرواية العربية وأسئلة ما بعد الاستعمار، رؤية للنشر والتوزيع، القاهرة، مصر، ط1، 2012، ص 54.

[19] – المرجع نفسه، ص 57.

---

[20]– نادر كاظم: تمثيلات الآخر – صورة السود في المتخيل العربي الوسيط –، ص 165.

[21]– إدريس الخضراوي: الرواية العربية وأسئلة ما بعد الاستعمار، ص 56.

[22]– يُنظر: عبد الله إبراهيم: الرواية العربية وتعدد المرجعيات الثقافية، مجلة علامات، النادي الأدبي والثقافي، جدة، المملكة العربية السعودية، ع 23، سبتمبر 1997، ص 03 .

[23]– عبد الله إبراهيم: السرد والتمثيل السردي في الرواية العربية المعاصرة، مجلة علامات، النادي الأدبي والثقافي، جدة، المملكة العربية السعودية، ع 16، ماي 2001، ص 07.

[24]– المرجع نفسه، ص 08.

[25]– منير مهادي: المتخيل السردي والتمثيل الثقافي عند عبد الله إبراهيم، ضمن كتاب فلسفة السرد، تحرير: اليمين بن تومي، منشورات الاختلاف، الجزائر، ط 1، 2014، ص 346.

[26]– يُنظر: إدوارد سعيد: الثقافة والإمبريالية، تر: كمال أبو ديب، دار الآداب، بيروت، لبنان، ط 3، 2004. ص 58 .

[27]– عبد الله إبراهيم: الرواية العربية وتعدد المرجعيات الثقافية، مجلة علامات، النادي الأدبي والثقافي، جدة، المملكة العربية السعودية، ع 23، أكتوبر 2002، ص 03.

[28]– منير مهادي: المتخيل السردي والتمثيل الثقافي عند عبد الله إبراهيم، ص 346.

[29] – المرجع نفسه، ص 350.

[30]– إدريس الخضرواي: الرواية العربية وأسئلة ما بعد الاستعمار، ص 63.

[31] – عبد الله إبراهيم: السردية العربية الحديثة – تفكيك خطاب الاستعمار وإعادة تفسير النشأة –، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، بيروت، لبنان، ط1، 2003، ص 58.

[32] – يُنظر: إدريس الخضرواي: الرواية العربية وأسئلة ما بعد الاستعمار، ص 115.

[33] – آرثر آيزبرجر: النقد الثقافي – تمهيد مبدئي للمفاهيم الرئيسية –، تر: وفاء إبراهيم ورمضان بسطاويسي، المجلس الأعلى للثقافة، القاهرة، مصر، ط 1، 2003، ص 60.

[34]– إدريس الخضراوي: الرواية العربية وأسئلة ما بعد الاستعمار، ص 64.

[35]– نادر كاظم: تمثيلات الآخر – صورة السود في المتخيل العربي الوسيط –، ص 21.

[36]– محمد صابر عبيد: المتخيل الاستشراقي – الأنا والآخر –، الدار العربية للعلوم ناشرون، بيروت، لبنان، ط 1، 2015، ص 63.

[37]– إدوارد سعيد: الثقافة والإمبريالية، ص 58.

[38]– ديفيد وورد: الوجود والزمان والسرد في فلسفة بول ريكور، تر: سعيد الغانمي، المركز الثقافي العربي، بيروت، لبنان، ط1، 1999، ص 51.

[39]– يُنظر: المرجع نفسه، ص 52 .

[40]– عبد العزيز موافي: الرؤية والعبارة – مدخل إلى فهم الشعر –، المجلس الأعلى للثقافة، القاهرة، مصر، د.ط، 2008، ص 296.

[41]– محمد بوعزة: سرديات ثقافية – من سياسات الهوية إلى سياسات الاختلاف –، منشورات الاختلاف، الجزائر، ط 1، 2014، ص 57.

[42]- نادر كاظم: تمثيلات الآخر – صورة السود في المتخيل العربي الوسيط –، ص 57.

[43] - إدريس الخضراوي: السرد موضوعا للدراسات الثقافية، مجلة تبيين، المركز العربي لدراسات سياسات الوحدة العربية، قطر، ع 7، شتاء 2014ص108.

[44] - للاستزادة ينظر: شهلا العجيلي: النص الروائي ودوال الهوية الثقافية، مجلة علامات، النادي الأدبي الثقافي، جدة، المملكة العربية السعودية، ع 53، سبتمبر 2004. ص441.

[45]- إدريس الخضرواي: السرد موضوعا للدراسات الثقافية، ص 114.

[46]- شرف الدين مجدولين: الفتنة والآخر – أنساق الغيرية في السرد العربي–، منشورات الاختلاف، الجزائر، ط1، 2012، ص18.

[47]- يُنظر: شهلا العجيلي: النص الروائي ودوال الهوية الثقافية، ص 443 .

[48]- محسن خضر: أسئلة الثقافة العربية في منعطف القرن الحادي والعشرين، إفريقيا الشرق، المغرب، ط 1، 2009، ص111.

[49]- المرجع نفسه، ص 123.

[50]- هجيرة بوسكين: تمثيلات الأنا والآخر في رواية المرفوضون لإبراهيم سعدي، مجلة دراسات أدبية، الخلدونية للنشر والتوزيع، الجزائر، ع 13، ديسمبر 2012، ص 33.

[51]- سيجموند فرويد: الأنا والهو، تر: محمد عثمان نجاتي، دار الشروق، القاهرة، مصر، ط 4، 1984، ص 31.

[52]- آرثر آيزبرجر: النقد الثقافي– تمهيد مبدئي للمفاهيم الرئيسية –، ص 161.

* للاستزادة ينظر: عبد الله ابراهيم: المتخيل السردي – مقاربات نقدية في التناص والرؤى والدلالة–، المركز الثقافي العربي، بيروت، لبنان ط1، 1990، ص ص 115-144.

[53]- طوني بينيت: مفاتيح اصطلاحية جديدة –معجم مصطلحات الثقافة والمجتمع–، ص 700.

[54]- يُنظر: حكيم أومقران: البحث عن الذات في الرواية الجزائرية–الطاهر وطار أنموذجا–، دار الغرب للتوزيع والنشر، الجزائر، ط 1، 2005، ص 103 .

[55]- هجيرة بوسكين: تمثيلات الأنا والآخر في رواية المرفوضون لإبراهيم سعدي، ص 157.

[56]- رامي أبو شهاب: الرسيس والمخاتلة– خطاب ما بعد الكولونيالية في النقد العربي المعاصر–، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، بيروت، لبنان، ط 1، 2013، ص 75.

[57]- يمنى العيد: في القول الشعري – الشعرية والمرجعية، الحداثة والقناع–، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ط1، 1999، ص 384.

[58]- ميجان الرويلي وسعد البازعي: دليل الناقد الأدبي، المركز الثقافي العربي، الدار البيضاء، المغرب، ط 3، 2002، ص 22.

[59]- نهال مهيدات: الآخر في الرواية النسوية، عالم الكتب الحديث، عمان، الأردن، ط 1، 2008، ص 49.

[60]- يُنظر: نجم عبد الله كاظم: الآخر في الشعر العربي الحديث– تمثيل توظيف وتأثير–، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، بيروت، لبنان، ط 1، 2010، ص 21.

[61]- محمد الخباز: الآخر في شعر المتنبي، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، بيروت، لبنان، ط 1، 2009، ص 23.

[62]- نادر كاظم: تمثيلات الآخر – صورة السود في المتخيل العربي الوسيط –، ص 20.

[63]- محمد الخباز: الآخر في شعر المتنبي، ص 24.

[64]- سعيد يقطين : الأدب والمؤسسة والسلطة – نحو ممارسة أدبية جديدة –، المركز الثقافي العربي، الدار البيضاء، المغرب، ط 1، 2002، ص 22.

[65]- حسن حنفي: الهوية، المجلس الأعلى للثقافة، القاهرة، مصر، ط 1، 2012، ص 20.

[66]- محمد العربي ولد خليفة: المسألة الثقافية- قضايا اللسان والهوية –، دار تالة، الأبيار، الجزائر، د.ط، د.ت، ص 105.

[67]- شعيب حليفي: تخييل الحقيقة في السرد الروائي، أعمال ملتقى الهوية والتخييل في الرواية الجزائرية، منشورات رابطة أهل العلم، الجزائر، 2007، ص 26.

[68]- المرجع نفسه، ص 26.

[69]- يُنظر: المرجع نفسه، ص 26.

[70]- ثائر رحيم كاظم: العولمة والمواطنة والهوية، مجلة القادسية في الآداب والعلوم التربوية، كلية الآداب، جامعة القادسية، بغداد، العراق، مج 8، ع 1، 2009، ص 259.

[71]- بوشعيب الساوري: تمثيلات الهوية والآخر – قراءة في ثلاث نصوص روائية –، أعمال ملتقى الهوية والتخييل في الرواية الجزائرية، ص 49.